شذور من سيرة الامبراطورة اوجيني

نشرنا خلاصة من ترجمة هذه الامبراطورة في مقتطف سبتمبر ثم رأينا كلاماً عنها للكولونل ولوبي فرنر في مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منهُ ما يلي قال : —

لقد كان من حظي ان لقيت الامبراطورة اوجيني مراراً كثيرة في الخمس والعشرين سنة الماضية وسمعتها تتكلم في كثير من المواضيع المهمة بما لا مزيد عليهِ من التدقيق والتوضيح. وبقي هذا شأنها الى آخر ايامها لانها شرفت بيتي بجنوب اسبانيا في زيارتها الاخيرة لمدريد وكان ذلك قبل وفاتها بايام قليلة. ولقد امتنعت منذ سنوات عن كتابة شيء من احاديثها لان الكثير منها لم تكن تريد ان ينشر. وكانت تكره ان يكتب عنها شيء. وقد اكدت لي مراراً ان كل الترجمات التي وُضعت لها والكتب التي كتبت عنها لم تكتب بطلب منها ولا برضاها. وانا اعلم ان بعضها ساءها والمَّها. وقد اخبرتني انهُ طُلب منها مراراً ان تذكر ما تشاء ان يكتب في ترجمتها بعد موتها فرفضت ذلك بتاتاً. وكانت تتلف كل المراسلات التي ترد اليها قائلة انها شخصية لا يحسن نشرها. وقد علمت ذلك منها لان فائدنا العام دوق اوف كمبردج كان قد ندبني الى كتابة ترجمتهِ وسلم اليَّ كل مراسلاتهِ مع العظماء ورجال السياسة مدة ستين سنة. وكثيراً ما كنت آتيها ببعض هذه المراسلات من الملوك والحكام مما كنت ارى فيهِ مشكلاً او عملاً للريب وكنت اندهش من معرفتها لكل الحوادث التي تشير اليها تلك المراسلة ومن قوة بداهتها في تفسير ما فيها من الغوامض. ومن ثم عرفت منها انها كانت تكره حفظ المراسلات التي تأتيها

ولما رأيتُ منها ذلك امتنعتُ عن كتابة الاحاديث التي كانت تدور بيننا واقتصرت على الاشارة اليها في مذكراتي اليومية حينما كنت ازور فرنبورو Farnborough (محل سكنها ببلاد الانكليز). ولم ادرك اهمية الاخبار التي كانت تقصها عليَّ حقّ الادراك الاَّ حينما نشبت الحرب الاخيرة وحينئذٍ رأيتُ ان ادوّن آراءها في بعض المسائل التي بحثتُ معها فيها. وكثيراً ما كانت تضحك وتقول لم يبقَ لي شأن في السياسة على الاطلاق ولكني كنتُ وقتاً ما عائشة في معتركها فيستحيل عليَّ ان انقطع عن الالتفات اليها. وعذري في نشر الاقوال

التالية ان كان لا بدّ من الاعتذار هو انها تنفي بعض الاوهام العالقة بالاذهان عنها مثل قولهم انها « قضت الخمسين السنة الاخيرة مأثمة عيشة القنوط لتذكرها ماضي حياتها » . فان ذلك ابعد ما يكون عنها . نعم ان الرزيئة التي اصابتها كانت اشد الرزايا وقد وقعت منها وقعاً اليماً جدًّا ولكنها كانت شديدة الصبر فلم تفارقها بشاشة وجهها ولذلك لم يظهر في حديثها شيء يدل على الكآبة والقنوط

سألني كثيرون عن رأيها في حوادث الحرب الاخيرة وبعضهم من اهل الرأي والنظر . وكل الذين اخبرتهم بآرائها تعجبوا من مقدار ادراكها للحالة الحاضرة وصحة انبائها بما ستأول اليه . من ذلك اني اخبرتُ اللورد مورلي في صيف سنة ١٩١٦ بآرائها في بعض الامور ومنها تأكيدها لي انهُ يستحيل قهر امة تعدّ سبعين مليوناً من النفوس كالامة الالمانية قهراً دائماً . فقال ما اشد فراستها وكرر هذه الكلمة مراراً

ومما امتازت به كرم اخلاقها وتجاوزها عن اساءة الذين أساؤوا اليها . ومن هذا القبيل طلبها من ولاة الامور الفرنسويين والانكليز لما قُتل ابنها في جنوب افريقية ان لا يعاقبوا الذين حدث ذلك بامامهم قائلة حسبي ان يكون ابني قد قضى وهو قائم بما يُطلب منهُ كجندي . ولا ازيد ان يعاقب احد من اجله . ولم ارَ منها ما يدلُّ على الغيظ الا مرة وقد رأت بعضهم كتب عنها ولقبها بلقب الامبراطورة السابقة Ex-Empress فانها قالت ليقولوا عني ما شاؤوا وينعتوني باي نعت ارادوا ولكن لا بالامبراطورية السابقة فاني كنتُ زوجة الامبراطور وكنت أُلقب بالامبراطورة اوجيني فانت كولونل في الجيش البريطاني فاذا تركت الجيش فهل تلقب بالكولونل فرنز سابقاً Ex-Colonel . بعد ذلك اجتهدت حتى اعلن ذلك لكل الذين يهمهم امرها لكي لا ينعتوها الا بالامبراطورة اوجيني

وبديهي انهُ يستحيل عليَّ ان احاول ذكر كل الاحاديث التي حدثتني بها من وقت الى آخر لاسيما وانها كانت ماهرة في الاستطراد من حديث الى حديث ومن موضوع الى آخر ولذلك سأقتصر على بعض المواضيع المتعلقة بالحرب الاخيرة

زرتها في ١٦ يوليو سنة ١٩١٨ حينما بلغت الازمة اشدها في الميدان الغربي . وكانت البلاد كلها حينئذٍ موجسة شرًّا من ارتداد جيوش الحلفاء الذي حدث في شهر مارس السابق . فقد كان قواد جيوشنا مطمئنين ولكن الشعب كان خائفاً

مضطرباً . ولما وصلت الى بيتها كانت جالسة تتناول الشاي على عادتها في تلك الساعة وبعد قليل اتوها بالبال مال فاخذتها حالاً وحاولت قراءة التلغرافات الاخيرة ولما تعذرت عليها قراءتها لضعف بصرها ناولتني الجريدة فقرأتها لها ومفادها ان جنودنا كانوا لا يزالون في مواقفهم وانهم نسفوا بعض الكباري (الجسور) التي نصبها الالمان. فلما اتممت القراءة قالت لي حسناً ولكنني لا ازال قلقة فالواجب ان لا تخرق صفوفنا ولكنهم خرقوها ومع هذا فاذا وصلوا الى باريس واخذوها فانهم سيطردون منها . وغاية ما في الامر ان الحرب تطول اكثر مما كنا ننتظر » . قالت ذلك بسكينة وحزم يستحيل عليّ وصفهما فانها تكلمت كلام من يثق بالفوز وثوقاً لا يخامره اقل ريب

وكانت تأسف لان فرنسا وانكلترا لا تقدر كلٌ منهما الاخرى حق قدرها ومن ذلك قولها

ان فرنسا وانكلترا وجدتا لتتعاونا لان لكلٍ منهما صفات سامية ليست في الاخرى فاذا اتحدتا صار قهرهما مستحيلاً . فالانكليز متصفون بالصبر والعزم والحزم . والفرنسويون متصفون بالاقدام واخذ الحيطة وبعد النظر . وقد كنتم دائماً ينقصكم النظر الى بعيد والتأهب للمستقبل والآن ارى ولاة اموركم تلما ينظرون الى بعيد فيأخذون الامور كما تعرض لهم في الحال غير ناظرين الى ما تؤدي اليه في المستقبل

ثم بحثت في الحالة الحاضرة بنوع عام واشارت الى المتولين سياسة البلاد الآن والذين تولوها قبلهم فقالت

ان للمصاعب التي تصادف الحلفاء في حربهم كثيرة دائماً وتزيد كثرة وصعوبة اذا لم يكن القواد مطلق التصرف . والقائد الذي يضطر ان يرضي قومه ويبقيهم راضين عنه يجد نفسه في موقف حرج . كالمصور من محرري الجرائد اليومية والمحرر يجب ان يكون سريع الخاطر متسرعاً في اعماله لانه مضطر ان يصدر جريدته يومياً فلا يتم لبنة وهذا مما يؤخذ على كليهما . ومع ذلك فهو من اتعس الرجال الآن

ثم زادت على ذلك قائلة

لا محل لاستشارة الامة في الحروب فان الحرب اشد خطراً من ان تترك لتضارب الآراء . لا بأس باستشارة الامة وقت السلم والاستشارة امر حسن حينئذ . واذا تسرع قواد الامة في اقوال قالوها لارضاء الامة واستجلاب رضاها في الحاضر فقد يصلون الى مصاعب شديدة في المستقبل

واتصل بنا الحديث الى اجور العمال وارتفاع الاسعار فقالت

ارى ان الاضطراب سيزيد بعد الحرب بسبب الاشتراكيين وجمعيات الصناع والعمال فان الناس سيطلبون ان تبقى الاجور مرتفعة لان رجال الحكومة قرروا ارتفاعها

وكنا قد قضينا اياماً والاخبار عن الحرب قليلة ولم يقع هجوم الالمان الكبير الذي كان منتظراً ونحن في قلق من قلة الاخبار . فبينما قمت لاودعها قالت لي

ما هو السبب الذي اخر الالمان عن الهجوم المنتظر . لا بد من سبب . يقول البعض ان الالمانيا اصابت كثيرين منهم اما انا فاقول ان هناك سبباً آخر غير هذا مهماً جداً جعل الالمان يضيعون هذه الفرصة

في ذلك الوقت قلما كان احد في انكلترا يعتقد ان هناك سبباً مهما منع الالمان من الهجوم وجعلهم يتريثون . وبعد شهر من الزمان صرنا نسمع عن ضيق الاحوال في المانيا

وبعد بضعة اسابيع اتيح لي الكلام معها . فان زوارها ذهبوا حينئذٍ الى ساحة لعب التنس وبقينا وحدنا ولم اكن قد سمعتها تتكلم عن زوجها وابنها مع انهُ مضت سنوات وانا اقابلها واسمع احاديثها اما يومئذٍ فارتاحت الى الكلام عنهما واخبرتني بامور كثيرة تتعلق بهما . وبقيت ساعة ونصف ساعة تتكلم واشارت الى اشتراك ايطاليا في الحرب ولم تكن تعجب بالجيش الايطالي ولا بملوك ايطاليا والآن جاء الكلام عن ايطاليا استطراداً لكلامها عن ابنها فقالت

لما خرج ابني من مدرسة ولوج رغبت في ان يرى شيئاً من العالم قبلما ينتظم في سلك المدفعية وكان ذلك سنة ١٨٧٧ ولم يكن من السهل ان نجد بلاداً في اوربا نقصدها ونجد فيها ما يسرنا وقد عزمت ان اذهب الى ايطاليا فذهبنا الى تورينا واخذت بيتاً حسناً وجعلت اقابل الزوار فيه فزارنا كثيرون سررنا بزيارتهم لكن مضى وقت طويل والملك لم يزرني . ثم جاء لزيارتي فرددت له الزيارة في قصره وادخلوني غرفة كبيرة على جدرانها كثير من صور الحروب وفيها مواقع كثيرة عليها صور فوتوغرافية كانها وضعت هناك لاراها . ورحب بي الملك واظهر لي تمام المودة ولما عزمت على الخروج نظرت الى الصور واذا اظنها تمثل معارك سنة ١٨٥٩ لان الامبراطور هو الذي نصب الملك . وهنا تتصور دهشتي لما وجدت ان كل تلك الصور تمثل معارك سنة ١٨٧٠ ثم التفت الى ماجنة عليها صورة فوتوغرافية كبيرة . صورة من تظنها ؟ صورة امبراطور المانيا . فقال لي الملك اراك دهشت مما رأيت فاجبته اني دهشت مما لم ارَ

ثم التفتت الى اسبانيا واشارت الى سخافة بعض الاسبانيين الذين حسبوا ان مصالحهم قائمة بان يكون ضلعهم مع الالمان وطلبت مني ان ابذل جهدي في بسط

الحقيقة للانكليز حتى يقللوا الشكوى من الحكومة الاسبانية لانها لم تدبر التدابير اللازمة لمقاومة الغواصات الالمانية ومنع ضررها. ولما ذكرت لها الغواصة التي نجت من قدس احتدت في الدفاع عن اسبانيا مؤكدة حسن نيتها وقالت «اني اعرف كل وقائع الحال لانني ممتها ممن تعرف من هو. لا لوم على اسبانيا فان ربان الغواصة وعدها وعد شرف بانهُ لا يهرب بغواصتهِ وهو من بلاد مسالمة لها فلم يكن لها سبيل الاَّ ان تثق بكلامهِ»

وجرى لي حديث آخر مع الامبراطورة في ٢١ اكتوبر سنة ١٩١٨. ولم تكن انكلترا تعلم حينئذٍ ان المانيا صارت على شفا جرف هار وكانت جنود الحلفاء تقدم بقيادة الجنرال فوش بقدم راسخة وتطرد الجيوش الالمانية امامها. وكان الرئيس ولسن قد زاد على بنودهِ الاربعة عشر خمسة بنود فقالت لي انهُ يقصد ان يمزق الامبراطورية النمسوية ويحرر الشعوب الداخلة في حوزتها. واقبح من ذلك أن لويد جورج مؤيد لهُ من كل وجه وستكون العاقبة ان عشرة ملايين او خمسة عشر مليوناً ينضمون الى بروسيا هدية تهديها اليها وهذا ما قالتهُ

تخرج من حكم بروسيا شعوب الاڤراس والسلوڤين وبولندا الذين يكرهونها وهم مصدر منعتها، وتعطيها بدلاً منهم عشرة ملايين من الالمان الذين هم الموالين لها فتصير اقوى كثيراً مما كانت في وسط اوربا. ولا يزال امبراطور المانيا متسلطاً على ستين مليوناً من الالمان واني اكرر ما قلته لك وهو انك لا تستطيع ان تسحق هذا العدد العديد من الاعداء. فمن الخطإ البين ان يقول ساستكم انهم عازمون على سحقهم

وشاعت حينئذٍ الاشاعات عن قرب عقد الهدنة فقالت

لقد احسن فوش في مواظبته على التقدم وعدم وقوفه فان هذا هو السبيل القويم كما فعل شوارزنبرج سنة ١٨١٤ لما اراد نبوليون ان يهادنه الحلفاء. وهذا هو السبيل الوحيد لجعل الالمان يفهمون انهم مغلوبون. وسيستقيل الامبراطور حتماً ويستقيل سائر الملوك المحالفين له. بل يستقيل سائر الملوك على توالي الايام ولا يبقى الا الملك جورج لان امته تحبه وهو ملك المستعمرات البريطانية المعظمة. لكنه سيبقى وحيداً كالمنارة في بحر هائج

قالت هذا القول قبل عقد الهدنة وهرب الامبراطور بثلاثة اسابيع وتبع ذلك تنازل امبراطور النمسا وملك بافاريا وملك بلغاريا وملك اليونان وغيرهم

وسألتها عما تراهُ في امر روسيا فقالت

لا يستطيع احد ان يثق بالسلاف (الصقالبة) فانهم اولاد واذا هاجوا خرجوا عن كل قيد وصاروا كالبرابرة والاولاد في كل اعمالهم. لما حدث حكم الارهاب في فرنسا كان فيه رجال قساة

اما هؤلاء البلشفيك فانهم اولاد قساة لا يعرفون ما يصنعون ولا ما يطلبون ولا حدّ لقساوتهم . وقد جاءتني اخبار اتى بها من روسيا من عهد قريب جداً ان البلشفيك قتلوا ضابطاً روسياً بوضعه في الماء وسلقه على النار

والتفتت الى بنود ولسن الاربعة عشر وقالت يستحيل على الشعب الانكليزي ان يقبل البحث في مسألة مثل حرية البحار ثم قالت

يجب على انكلترا ان تبني اقوى دولة بحرية ثم هذا امر لا بدّ لها منه . وسترى بعد الحرب ما يجب من اميركا في مسئلة ارلندا . وان لم تتخذوا الخطة اللازمة فستكون ارلندا مثل بروسيا

ستأتي البقية

المباحث النفسية

اشرنا في الجزء الرابع من هذه السنة في مقالة عنوانها « تعقيب على اثبات الروح بالمباحث النفسية » الى ان مسئلة مناجاة الارواح سينظر فيها مؤتمر اساقفة الكنائس الانجليكانية ويبدي حكمهُ. وقد عُقد هذا المؤتمر في قصر لمبث Lambeth بمدينة لندن هذه السنة من ٥ يوليو الى ١٧ اغسطس وحضرهُ ٢٥٢ من رؤساء الاساقفة والاساقفة . وعين لجنة من ٣٧ اسقفاً برآسة رئيس اساقفة ارماغ الدكتور دارسي D'Arcy اللاهوتي فبحثت في البرتيوالزم Spiritualism (اي الروحانية او مناجاة الارواح) والعلم المسيحي Christian Science والثيوصوفيا Theosophy (اي الحكمة الالهية) من الوجهة العلمية ومن الوجهة الدينية ورفعت تقريرها الى المؤتمر وقد ملأ تسع صفحات من تقريره العام الذي نشرهُ الآن . وهاك خلاصة ما قالتهُ اللجنة من الوجهة العلمية وما قالهُ المؤتمر

قالت فيما يدخل تحت موضوع مناجاة الارواح او السبرتيوالزم

(اولاً) ان البعض يعتقدون بصحة التلبثي Telepathy اي الاتصال بين الاحياء بواسطة يظهر انها مستقلة عن المشاعر العادية (اللمس والنظر والسمع والشم والذوق)

(وثانياً) ان البعض يعتقدون ان في الانسان وجداناً باطناً (او عقلاً باطناً) يمكنهُ ان يفعل من غير ان يتسلط علينا الوجدان الظاهر (او العقل الظاهر) والارادة التسلط العادي